مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

السنة السابعة، العدد 24
المجلد الثاني، ديسمبر 2024

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

Arcif
Analytics

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل " آرسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين –من مختلف بلدان العالم– من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دوليًّا، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصـــدر المجلة ورقيًّا حســـب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشـــر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونيًّا لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط النشر في مجلة العلوم الإنسانية وإجراءاته

أولاً: شروط النشر

أولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانيًا: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. فـــي حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاًّ لبحثه .
3. فـــي حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل– وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة فـــي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

رابعا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل كما هو في دليل المؤلفين لكتابة البحوث المقدمة للنشر في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل وفق نظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك
7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (1000) ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكّمين اثنين؛ على الأقل.
10. في حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. في حالة رفض أحد المحكمين للبحث، وقبول المحكم الآخر له وكانت درجته أقل من 70%؛ فإنّه يحق للمجلة الاعتذار عن قبول البحث ونشره دون الحاجة إلى تحويله إلى محكم مرجح، وتكون الرسوم غير مستردة.

13. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث

14. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم. وكذلك لها الحق في رفض البحث دون إبداء الأسباب.

15. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.

16. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.

17. لا ترّد البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر

18. يحق للمجلة أن ترسل للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.

19. لهيئة تحرير المجلة الحق فـــي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنّياً.

المشرف العـــام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد بن إبراهيم السيف

هـيئـــة الـتحريـــر

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش

أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سالم بن عبيد المطيري

أستاذ الفقه

د. وافي بن فهيد الشمري

أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ. د. منى بنت سليمان الذبياني

أستاذ الإدارة التربوية

د. ياسر بن عايد السميري

أستاذ التربية الخاصة المشارك

د. نواف بن عوض الرشيدي

أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

د. نوف بنت عبدالله السويداء

استاذ تقنيات تعليم التصاميم والفنون المشارك

د. إبراهيم بن سعيد الشمري

أستاذ النحو والصرف المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان

سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايع

جامعة الملك سعود – مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان – قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود – التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت – الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين – الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس – سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود – الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة – فلسفة التربية

القسم أهميته ودلالاته على معتقدات الجاهليين والمعاندين – البواعث والأثر

The oath›s significance and its implications for the beliefs of the pre-Islamic Arabs and the The obstinate ones -Motivations and Impact

د. فاطمة سعيد أحمد العمري
أستاذ الأدب والنقد المساعد، قسم اللغة العربيّة، كلية الآداب والفنون، جامعة بيشة، المملكة العربيّة السعودية
https://orcid.org/0009-0003-2484-2245

Dr. Fatmah bint Saeed Ahmed Al-amri
Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences, University of Bisha, kingdom of Saudi Arabia

(تاريخ الاستلام: 2024/09/04، تاريخ القبول: 2024/12/14، تاريخ النشر: 2024/12/30)

المستخلص

سعت هذه الدراسة إلى تتبع القسم الوارد عن العرب قبل الإسلام، بهدف الكشف عن خطورة المعتقدات الضالة؛ فقد شاع استعمال القَسَم بين العرب في العصر الجاهلي؛ وكان له أهميَّة كبيرة في حياتهم، وقد تنوعت صيغ القسم بتنوع الطوائف التي كان يتشكَّل منها هذا المجتمع، حيث نجد الحنفاء، والنصرانيين، واليهود، والوثنيين، وكل طائفة من هذه الطوائف كانت تُقسِم بما يتفق مع مُعتقدها، وهو ما عبَّر عنه الشعراء في شعرهم، وقد انعكس أثر تلك المعتقدات على ما ظهر في المجتمع الإنساني بعد الإسلام من الطوائف الباقية على معتقداتها الباطلة من العداوة والبغضاء، وهو ما أشارت إليه آيات القسم الواردة في القرآن الكريم، والتي كان فيها ما يكفي للتحذير من تلك المعتقدات. وقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي الاستنباطي؛ للوصول إلى نتائج منهجيَّة. ومن أهم النتائج التي توصلتُ إليها؛ أنه كان للقسم أهمية كبيرة في حياة العرب؛ بوصفه قوة تنفيذيّة كان لها مكانة القانون الجنائي، إضافة إلى ارتباط القسم لديهم بمفهوم الالتزام السياسي، كذلك تنوعت صيغ القسم بين الكُهَّان والشعراء الجاهليين بالصورة التي عبّرت عن مدى تمكُّن المعتقدات الضالة من نفوس ذويها. وكشفت الدراسة ايضًا دلالة آيات القسم الواردة في القرآن الكريم عن الطوائف الضالة؛ ومدى ما كانوا فيه من ضلال، إضافة إلى تحذيرهم من عاقبة هذا الضلال.

الكلمات المفتاحية: المعتقدات، الوثنية، القسم، التحالف السياسي.

Abstract

This study aimed to trace the oaths mentioned by the Arabs before Islam, in order to reveal the danger of false beliefs.The use of oaths was widespread among the Arabs in the pre-Islamic era due to its significant importance in their lives.The forms of oath differ depending on the sects that make up this society,as we find Hanafis, Christians, Jews, and pagans, and each of these sects swears according to their belief, which is what poets have expressed in their poems. The impact of these beliefs has been reflected in the sects that emerged in human society after Islam, which adhered to their false beliefs of lying and hypocrisy in the oaths mentioned in the Holy Qur'an .and These verses were sufficient to warn against the false beliefs, which remains with human survival, whatever their manifestations and forms. This study drew on the inductive approach to achieving systematic results.Among the most important results I reached:The oaths had great importance in the lives of the Arabs, as an executive force that had the status of criminal law, as well as the Section›s association with the concept of political obligation.. The forms of the oaths varied among the pre-Islamic poets in a way that reflected the extent to which misguided beliefs had taken hold of their souls.The oaths mentioned in the Qur'an revealed the sects that remained in their false belief, in addition to warning them of its consequences.

Keywords: Beliefs, Pagan, Oath, Political alliance.

للاستشهاد: العمري، فاطمة سعيد أحمد. (2024). القسم أهميته ودلالاته على معتقدات الجاهليين والمعاندين – البواعث والأثر. *مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل*، 02 (24)، ص187 – ص201.

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث

Funding: There is no funding for this research

المقدمة:

القسم من الأساليب التي اعتمد عليها الجاهليون في شتى أمور حياتهم، وقد بلغ من شأن القسم عند العرب في هذه الحقبة الزمنيَّة أنَّهم كانوا يحترزون كل الاحتراز من الكذب فيما يُقسِمون عليه، لاعتقادهم أنَّ هذا شؤم على صاحبه ويُخرِب الديار؛ لما فيه من الغدر والخيانة. ومن أجل هذا كان القسم عندهم قاطعًا في إثبات الحقوق والوفاء بالوعود، ويُلاحظ أنَّ حياة الجاهليين ارتبطت كغيرهم من الأمم السابقة بالقسم ارتباطًا وثيقًا، من حيث صورته التي تأخذ شكل الأَيْمَان، ومن حيث الطقوس والشعائر التي كانوا يمارسونها لتوثيق تلك الأَيْمان.

ويتبيَّن مدى أهميَّة القسم عند العرب في العصر الجاهلي بالنظر إلى ثلاثة أمور؛ الأول منها: أنَّ القسم كان بمثابة الدعامة التي يقوم عليها الفصل فيما ينشأ بين الناس من دعاوى، في هذا المجتمع القبلي الحافل بالمنازعات والحروب بين القبائل. والثاني: يتمثل في اعتماد طبقة الكهَّان على القسم؛ للهيمنة على العقول بمصداقيَّتهم فيما يُخبرونهم به من الغيبيّات. والثالث: يأتي في اعتماد العرب على القسم في توثيق أحلافهم واتفاقيّاتهم ومعاهدتهم. وقد نقل الشعر الجاهلي صورًا مُتعدِّدة لتلك المظاهر، التي تعكس بالتالي أهمية القسم في حياتهم.

وقد شاع في العصر الجاهلي العديد من المعتقدات الضالة، كان من أبرزها المعتقدات الوثنيّة، التي كان في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام مظاهر متعدِّدة منها: عبادة مظاهر الطبيعة، والتعبد للأرواح والجن، وعبادة الأسلاف، وتقديس أشياء وأماكن معيَّنة مثل الحجارة، والأشجار، والينابيع، إضافة إلى عبادة الأصنام.

ويُلاحظ أنَّ العرب أطلقوا على الأصنام التي عبدوها أسماء تختلف باختلاف المادة التي تُصنع منها؛ فما كان منها «مصنوعًا من الخشب أو الذهب أو الفضة على صورة إنسان فهي أصنام, وما كان منها مصنوعًا من الحجر فهي أوثان. ونوع ثالث منها عبدوه وأطلقوا عليه اسم الأنصاب، والأنصاب نوع من حجارة غير منصوبة، كانوا يطوفون بها ويعترون عندها» (بروكلمان، 1422، ص. 291-292). وبهذا المعنى فإنَّ العرب لم يعبدوا الأصنام في صورتها المجرَّدة بوصفها تماثيل أو حجارة؛ وإنَّماعبدوها لأنَّها تمثِّل بالنسبة لهم قوى عليا تفوق الطبيعة؛ فكانوا يعتقدون أنَّ هذه القوى كامنة في تلك الأصنام، ومن ثمَّ كانوا يتقربون إلى الأصنام التي عبدوها بتقديم القرابين والنذور؛ بل إنَّهم كانوا يُشهرون قسمهم لديها؛ لقداستها عندهم إذا ما دعتهم الحاجة إلى القسم.

والقارئ لديوان الشعر الجاهلي يجد أنَّ الشعراء عبَّروا عن تلك المعتقدات الباطلة فيما نظموه من شعر، كما جاء في القرآن الكريم أَقْسَام على لسان تلك الطوائف الضالة، التي دفعها ضلالها إلى التصدي للنبيﷺ، وللدين الإسلامي الذي دعاهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ ما هم فيه من ضلال، مُحذِّرًا إياهم من عاقبة هذا الضلال.

الدراسات السابقة:

لم أجد – قدر علمي وبحثي– دراسات تناولت هذا الموضوع بالربط بين البواعث التي ارتبطت بنشأة المعتقدات الباطلة في العصر الجاهلي وبين الآثار المترتبة عليها؛ في حين وجدْتُ دراسات تناولت أيْمان العرب في الجاهليّة، وأخرى تناولت القسم في الشعر الجاهلي، بالإضافة إلى دراسات تناولت القسم في القرآن الكريم، ومنها:

1. رسالة لإبراهيم عبدالله محمد النجيرمي بعنوان: أيمان العرب في الجاهليَّة (النجيرمي، 1343)، تناول المؤلِّف فيها بإيجاز الحديث عن صيغ الأَيْمان التي شاعت بين العرب قبل الإسلام، حيث عرض صورًا لأَيْمانهم بالله، وصورًا أخرى لما شاع بينهم من أَيْمان بالأوثان والأصنام والكواكب، دون التطرق لشعرهم؛ إلَّا نادرًا.
2. كتاب بعنوان: إيمان العرب في الشعر الجاهلي، لمالك محمد (جمال، 2012)، وأصل هذا الكتاب أطروحة ماجستير، وهدف الباحث من دراسته التعريف بأيمان العرب في الشعر الجاهلي، مع البحث في الظواهر الأسلوبية التي وردت في أسلوب القسم مثل الحذف والتخفيف، وما إلى ذلك.
3. كتاب بعنوان: الإمعان في أقسام القرآن، للشيخ عبد الحميد (الفراهي، 1980)، وقد ركَّز الفراهي على الأقسام الواردة في القرآن الكريم عن الله تعالى، كما تناول تاريخ القسم في العربيَّة وأيْمان العرب قبل الإسلام، ليبيِّن حاجة الناس إليه قديمًا وحديثًا.
4. كتاب يحمل عنوان: أساليب القسم واستعمالاتها في لغة العرب مع دراسة تطبيقيَّة لما ورد منها في القرآن الكريم، تأليف دكتور مهران عبد الله (عبد العال، 1995) واعتمد المؤلف في دراسته على البحث في الصيغ التركيبيّة النحوية لجملة القسم، التي كان يدعِّمها بما جاء في أشعار العرب؛ للكشف عن خصائصها النحوية.
5. بحث بعنوان «دلالات القسم في الشعر العربي: حلفت برب الراقصات نموذجًا»، للباحث رضوان (ياسر عبد الحسيب، 1436)، وتأتي أهمية هذا البحث في الكشف عن تأثير القسم على السياق الذي يرِد فيه، بتسليط الضوء على قول الأخطل: حلفت برب الراقصات، الذي استدعاه الشعراء في الشعر العربي القديم؛ للتعبير عن معانٍ مغايرة منها: المدح، والفخر، والرثاء، والهجاء، والاعتذار. وقد تبيَّن من الأفكار المحورية التي دار حولها هذا البحث مدى تأثير القسم على السياق الذي يرد فيه، بتنوع الدلالات المرتبطة بجملة القسم، الذي وظفه الشعراء في التعبير عن تجربتهم الشعرية.
6. كتاب بعنوان «القسم في القرآن الكريم» تأليف أ.د.حسين (نصّار، 2001). وتقوم الدراسة في هذا الكتاب على رصد مؤلفه الجهود التي تناولت موضوع القسم، منذ مبدئه إلى يوم دراسته بهذا المؤلف، مبيِّنًا ما طرأ على مجرى التفكير «من مد

أو جزر، ومن استقامة أو ميل، ومن تجدد أو تجمد، أي إنه يسعى إلى أن يصنع تاريخا شاملا ودقيقا للتفكير العربي الذي دار حول الأقسام في القرآن (نصّار، 2001، ص3)». وقد جمع الدكتور نصار في هذا الكتاب بين جهود اللغويين، والبلاغيين، والمفسرين، التي دارت حول أسلوب القسم في القرآن الكريم من منظور لغوي وبلاغي وفلسفي؛ بهدف الكشف عما يحمله قسم الله تعالى في القرآن الكريم من معان ودلالات عميقة، ترتبط بالسياق الذي يأتي فيه القسم.

وعليه يتضح أنَّ المجال مازال واسعًا لدراسة القسم الذي عبَّر عن معتقدات الجاهليين قبل الإسلام، بالنظر إلى القسم الذي ورد في النصوص القرآنيّة عن المعاندين من الكفّار والمشركين، الذين تمسّكوا بمعتقداتهم الباطلة؛ للكشف عن دلالته في ردود أفعالهم بعد الدعوة الإسلاميّة، من خلال الأثر الذي ترتب على قسمهم بطريقة منهجيَّة، فالأثر في سياق الأبحاث العلميّة يعني النتيجة القائمة على معطيات ودلائل قويَّة (الجرجاني، 1403، ص. 11).

أهميَّة الدراسة والجديد فيها:

1. تسليط الضوء على أهمية القسم في حياة العرب قبل الإسلام، ودوره البارز في الحفاظ على الأمن والاستقرار بين الأفراد والقبائل.
2. الكشف عن القيم والمعتقدات التي شكَّلت جوانب الحياة الاجتماعيّة، والثقافيّة، والدينيّة في المجتمع العربي قبل الإسلام، من خلال دلالة القسم الوارد في شعرهم وأسجاعهم.
3. دراسة مغزى قسم المعاندين من الكفار والمنافقين، الذين تمسَّكوا بمعتقداتهم الباطلة بعد الإسلام.
4. تحليل خطورة المعتقدات الضالة، من خلال بواعثها والآثار التي ترتبت عليها.

تساؤلات الدراسة:

- كيف ساعد القسم في تنظيم العلاقات بين الأفراد والقبائل قبل ظهور الإسلام؟
- لماذا كان العرب يستخدمون طقوسًا خاصة عند أداء القسم لتوثيق معاهداتهم واتفاقيَّاتهم؟
- ما دلالة القسم الوارد في الشعر الجاهلي وفي سجع الكهّان على معتقدات الجاهليين؟
- ما المعنى الذي حمله القسم الوارد في القرآن الكريم عن ذوي المعتقدات الضالة المعاندين؟
- ما الآثار التي ترتبت على المعتقدات الضالة بعد الإسلام؟

أهداف الدراسة:

1. الكشف عن خطورة المعتقدات الضالة على المجتمعات الإنسانيَّة، بالنظر إلى المعتقدات التي شاعت بين العرب قبل الإسلام.
2. بيان أهميَّة القسم ووظيفته في حياة الجاهليين، فيما ورد عنهم من أخبار وأشعار ترتبط بالمعتقدات التي شاعت بينهم.
3. التعريف ببعض من معتقدات العرب التي كانوا عليها قبل الإسلام، مع التتبع لما ورد في النصوص القرآنية من آيات جابه بها القرآن الكريم تلك المعتقدات الضالة، مُحذرًا إيّاهم من عاقبتها.

منهج الدراسة:

قامت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي، للوصول إلى نتائج منهجيَّة، تنبع من التحليل بدقة لكل الجزئيّات التي يتناولها الموضوع؛ للوصول إلى النتائج المرجوَّة بالدِّقة التي تتناسب مع الأفكار المحوريَّة التي دارت في فلكها هذه الدراسة.

خطة الدراسة:

وتحقيقًا لِما أسعى إليه من أهداف؛ جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع. كالتالي:

المقدمة: بيَّنت فيها أهميَّة الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة فيه، وأهدافها.

التمهيد: مفهوم القسم: ويدور حول مفهوم القسم في اللغة، وفي الدراسات النحويَّة والبلاغيَّة، مع الاستشهاد بنماذج من الشعر الجاهلي.

المبحث الأول: أهميَّة القسم في حياة العرب قبل الإسلام: تعرض صفحات هذا المبحث لأسباب نشأة القسم بين الجاهليين، وبيان مدى أهميَّته في حياتهم.

المبحث الثاني: دلالة القسم الوارد في الشعر الجاهلي على معتقدات الجاهليين: يقوم هذا المبحث بالكشف عن بعض من المعتقدات الضالة التي انتشرت بين الجاهليين، والتي تعدَّدت تعدُّد الطوائف التي جمعت بينها الحياة القبليَّة قبل الإسلام، والتي انعكس أثرها بوضوح على الشعر الذي نظمه الشعراء في تلك الحِقبة الزمنيَّة.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على المعتقدات الضالة والتحذير من عواقبها: يعرض هذا المبحث للقسم الوارد في النصوص القرآنيَّة، عن ذوي المعتقدات الضالة من الكفّار والمنافقين الباقيين على ضلالهم بعد الإسلام. للكشف عمَّا كانوا فيه من كذب، ونفاق دفعهم إلى اختلاق الحجج الواهية؛ للمُداراة على باطنهم الذي يخالف ظاهرهم، بهدف تحذيرهم من عاقبة ما هم فيه من ضلال.

الخاتمة: أجملتُ فيها ما توصلت إليه من نتائج.

التوصيات: بيَّنت فيها ما ارتأيته من اقتراحات؛ تفتح آفاقًا جديدة أمام الباحثين.

ثبت المصادر والمراجع: ويضم المصادر والمراجع، التي كانت عونًا لي في هذه الدراسة.

التمهيد: مفهوم القسم:

جاء القسم في اللغة بمعنى اليمين التي يُقسَم بها في الحلِف، قال ابن منظور: «القَسَمُ، بالتحريك: اليمين، وكذلك المُقْسَمُ، وهو المصدر مثل المَخْرَج، والجمع أَقْسام، وتَقاسَمَ القومُ: تحالفوا، وأَقْسَمْت: حلفت، وأَصله من القَسامة... وقَتل فلان فلانًا بالقَسامة أَي باليمين، والمُقْسِم: الرجل الحالف، أَقْسَم يُقْسِمُ إِقْسامًا» (ابن منظور، 1419، ج11، ص. 165).

فالقسم يُعد أسلوبًا لغويًّا من أساليب التوكيد، وهو يمين يُقسِم بها الحالِف ليؤكد شيئًا يخبر عنه من إيجاب أو جحد؛ لإزالة الشك عن مقصوده، أو لجذب انتباه المتلقي بهذا الأسلوب، الذي «حين يرِد في الجملة فإنه يهدف إلى توكيد الكلام أو تحريك النفس بالحلف» (عبد المسيح وتابري، 1990، ص. 318).

فالقسم يتألَّف من جملتين، جملة يؤكد بها جملة أخرى، فالجملة المؤَكَّدَةُ هي المقسَمُ عليه والجملة المؤَكِّدة هي القَسَمُ، والاسم الذي يَدخُلُ عليه حرف القسم هو المقسمُ به، «مثال ذلك أَحْلِفُ بالله إنَّ زيدًا قائم، فقولك إنَّ زيدًا قائم هي الجملة المقسَمُ عليها، وقولك أَحْلِفُ بالله هو القسم الذي وَكَّدْتَ به إنَّ زيدًا قائم والمقسم به اسم الله عز وجل» (ابن سيدة، د.ت، ج 13، ص. 110).

والقسم»إمَّا أن يكون بجملة فعليّة نحو: أقسم بالله. أو بجملة اسميّة نحو: يمين الله لأفعلنَّ كذا. أو بأدوات القسم الجارة لما بعدها... وأدوات القسم هي: الباء، الواو، التاء، اللام، الميم المكسورة» (هارون، 1421، ص. 162).

ويُلاحظ أنَّ القسم قد لا يكون صريحًا؛ إذا تمَّ التوكيد فيه على المقسم عليه دون أن يُستخدم لفظ القسم صراحة، كما في حذف فعل القسم، والاكتفاء بحرف القسم والمقسم به، ومنه قول القائل مقسِمًا: «والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت وأصله: أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال –من الجار والجواب– دليلًا على الجملة المحذوفة» (ابن جني، د.ت. ، 2/ 362).

وقد تناول البلاغيون القسم مثل النُحاة بوصفه أسلوبًا للتوكيد، فهو عند البلاغيين أسلوب إنشائي غير طلبي، يتألف من جملتين؛ جملة يؤتى بها لتوكيد جملة أخرى من خلال اللفظ المقسم بِهِ، ومن تلك الألفاظ: «بالله، وأقسمت، وآليت، وعلم الله، ويعلم الله، ولعمرك، ولعمر أبيك، ولعمر الله، ويمين الله، وأيمن الله، وايم الله، وأمانة الله، وعليّ عهد الله لأفعلن أو لا أفعل. ومن شأن الجملتين أن تتنزلا منزلة جملة واحدة كجملتي الشرط والجزاء» (الزمخشري، 1999، ص. 483).

وقد درج الجاهليون كذلك على استخدام القسم بوصفه أسلوبًا من أساليب التوكيد، وهو ما عبَّر عنه الشعراء في شعرهم، ومنه:

1.القسم بالله: كما في قسم النابغة (الذبياني، د.ت، ص 167):

واللهِ واللهِ لنِعْـمَ الفَتَى الـ

أَعْرَجُ لا النِّكْسُ ولا الخَامِلُ

2.القسم باليمين: ومنه قسم جندح بن حجر (امرؤ القيس، 1984، ص. 32):

فقُلتُ يَمينَ اللهِ أَبْرَحُ قاعِـدًا

ولو قَطَّعوا رَأسِي لَدَيْكِ وأَوْصَالي

3. القسم بالألِيَّة: فلفظ الألِيَّة يرتبط في أصله اللغوي بمعنى الاقتصار، ولهذا قيل: إن حقيقة الإيلاء والألِيَّة «الحلف المقتضي لتقصير في الأمر الذي يُحلف عليه» (الأصفهاني، 1412، ص. 84)، كما في قسم النابغة الذبياني (الذبياني، د.ت.، ص69):

فآليْتُ لا آتيكَ إن جئتُ مُجْرِمًا

ولا أَبْتَغِي جاراً سواكَ مُجاوِرا

وقسم طرفة بن العبد (العبد، 1958، ص. 59):

وآلَيْتُ لا يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطَانَةً

لِعَضْبٍ رَقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ

4.القسم بالحق: ومنه قسم عنترة بن شداد (شداد، 2001، ص. 25، 48):

وحقِّكِ أشجاني التباعُد بعدكم

فهل أنتُم أشجاكُم البُعد من بَعدي

وقسمه أيضًا في موضع آخر بحق الهوى:

بحقِّ الهوى لا تعْذلوني وأقْصروا

عنِ اللوْم إن اللوْم ليسَ بنافع

5.القسم بالعمر: فلفظ العمر خاص بالقسم، ولا يستعمل في غيره، كما يُلاحظ أنَّ القسم في القرآن الكريم لم يرد مصدرًا بلفظ''لَعَمْرُك''إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72)﴾ [الحجر:72]. فالله تعالى أقسم بحياة الرسولﷺ تكريمًا له.

وقد استخدم العرب القسم بالعمر بكثرة، مضافًا إلى الأسماء الظاهرة أو إلى الضمائر، كما في:

– قسم النابغة الذبياني، (الذبياني، د.ت، ص. 112):

لعَمْرُكَ ما خَشِيتُ على يَزِيدٍ

من الفَحْرِ المضَلِّلِ ما أَتاني

– وقسم طرفة بن العبد (العبد، 1958، ص. 238):

لَعَمْرُكَ ما تَدْرِي الطَّوارِقُ بِالحَصَى

وَلا زَاجِراتُ الطَّيرِ مَا اللهُ فَاعِلُ

- وقسم جندح بن حجر (امرؤ القيس، 1984، ص. 113):

لعَمْرِى لَسَعْدٌ حيث حُلَّت دِيارُه

أحبُّ إلينا مِنْكَ فَا فرسٍ حَمِرْ

- وقسم عنترة بن شداد (شداد، 2001، ص. 16):

لَعَمْرُكَ إنَّ المجدَ والفَخْرَ والعُلَا

ونَيْلَ الأَمَانِى وارْتِفاعَ المَرَاتبِ

لِمَنْ يَلْتَقِى أبطَالها وَسَرَاتَها

بقَلْبٍ صبُورٍ عنْد وَقْعِ المضَارب

المبحث الأول: أهمية القسم في حياة العرب قبل الإسلام:

ارتبطت حياة الجاهليين كغيرهم من الأمم القديمة بالقسم ارتباطًا وثيقًا، من حيث صورته التي تأخذ شكل الأيْمان، ومن حيث الطقوس والشعائر الخاصة التي كانوا يمارسونها غالبًا عند تلك الأيْمان، فالقسم عند العرب ارتبط بشعائر خاصة، فقيل إنَّ: ''القسم أصله من القَسَامَةِ وهي الأيْمانُ تُقْسَمُ على أولياء المقتول إذا ادّعَوا دَمَهُ'' (ابن فارس، 1986، ص. 752). وتوضيح ذلك كما قال الجوهري: ''يُقال قُتِل فلان بالقسامة، إذا اجتمعت جماعة من أولياء القتيل فادّعوا على رجل أنه قتل صاحبهم ومعهم دليل دون البيّنة، فحلفوا خمسين يمينًا أنَّ المدَّعي عليه قتل صاحبهم، فهؤلاء الذين يقسمون'' (الجوهري،1407،ج 5، ص.2010).

تتمثل أهميَّة القسم عند العرب في الجاهلية في العديد من المظاهر، على النحو التالي:

أوَّلًا:

كان القسم بمثابة الدعامة التي يقوم عليها الفصل فيما ينشأ بين الناس من دعاوى، وقد أكد كارل بروكلمان على دور القسم وأهميَّته بين عرب الجاهلية بوصفه قوة تنفيذية ،كان لها مكانة القانون الجنائي؛ فمع غياب وجود القانون الجنائي عن البدو في تلك الحِقبة الزمنية صار من حق أي شخص يعيش في هذا المجتمع أن يفزع إلى استخلاص حقّه إذا ما سُلِب منه بالقسم الذي شاع بينهم، فعلى سبيل المثال ''إذا ما عُثر على أحد البدو مقتولًا بيد مجهولة في منطقة إحدى العشائر، ووقعت الشبهة على أحد أفرادها فعندئذ تقسِم العشيرة الأيمان على براءته. وقد يجرح صدق هذا القسم ويبطل فعله بقسم آخر تقسمه عشيرة القتيل'' (بروكلمان، 1948، ص. 17، 18).

ثانيًا:

اعتماد طبقة الكهّان التي كان لها قداسة دينيّة خاصة بين العرب على القسم، بهدف إضفاء نوع من الرهبة والمصداقيّة في نفوس العرب وإيهامهم بأنَّ وراءهم قوى غيبيّة تطلعهم على الغيب؛ فقد كانت هذه الطبقة الكاهنة في الجاهليّة تزعم أنها تطّلع على الغيب، بما يلقى إليها توابعها من الجن(الرئي)، وكان للكهان أسلوب خاص في كلامهم عند التنبّؤ والتكهّن هو أسلوب السجع، والسجع في مفهومه الاصطلاحي يعني التوافق في الحرف الأخير أو التعادل في الوزن أو فيهما معًا، فمعناه ''في لغة علماء البيان اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما'' (حمدي، 1992، ص. 59)، كما عرَّفه أبو هلال العسكري بالنظر إلى التساوي في الجمل التي يقع بينها السجع، إذ قال السجع هو: ''أن يكون الجزآن متوازيين متعادلين، لا يزيد أحدهما على الآخر، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه'' (العسكري، 1986، ص. 262).

فسجع الكُهّان هو ضرب من الخطاب يقوم أساسًا في بُنيته الأسلوبيّة على الأسجاع، وهو فنٌّ قائم بذاته، ظهر في العصر الجاهلي، حيث ارتبط في بداياته الأولى بالكهانة والتنبؤ الذي كان يدَّعيه الكهّان؛ والذين كان لهم تأثير كبير على العرب في حياتهم، وكان هؤلاء الكهان يدَّعون أن مع كل واحد منهم رئيًّا من الجن، وكان الكُهان يعتمدون على القسم اعتمادًا كبيرًا في تكهناتهم؛ لإضفاء المصداقيّة على ما يُخبرون به من تنبُّوءات لمن يلجأون إليهم من العرب، مثل ''حازي جهينة، ومثل شق وسطيح، وعُزّى سَلِمة وأشباههم، كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع، كقوله: والأرض والسماء، والعُقابِ الصقعاء، واقعةً ببقعاء، لقد تقّر المجدُ بني العُشَراءِ للمجد والسَّنَاء'' (الجاحظ، د.ت، ج1، ص. 290، 291). فقد أقسم عُزّى؛ بالأرض والسماء، وبطائر العُقاب لما له من شرف ومكانة عند العرب لقوته وحدة بصره؛ مُبشِّرًا بني العشراء بالغلبة على غيرهم.

وهكذا كان الكهان يوظّفون القسم؛ حتى يتمكنوا من التأكيد للعامة بأنهم يعرفون الغيب عن طريق ما يتلقونه من الجن (الرئي)، ومن ثمَّ فقد كان الناس يتجهون إليهم، يحكمونهم في المنازعات، والمنافرات، ويستشيرونهم في أمورهم الحاليَّة والمستقبليَّة، ويقصّون عليهم أحلامهم ليفسروها لهم.

ويُلاحظ أنَّ الكهَّان كانوا يعتمدون في سجعهم على الكلمات الغامضة ''وكأنما كانوا يقصدون زيادة التأثير في السامعين، وإلهائهم عن التتبع لما يلقى إليهم من الأخبار التي كانت في منتهى الغرابة والعجب'' (الجندي، 1412، ص. 269).

وبناء عليه فقد كان الكهان يعتمدون في سجعهم بجانب القسم على الكلام الغامض، وهو أسلوب تقتضيه طبيعة التكهّن، حتى لا يُلزم الكاهن نفسه بما يقوله أو يُنبِّإ بِهِ؛ فربّما لا يقع، وربَّما يقع العكس، ففي مثل هذه الحالات، فيجِد الكاهن لنفسه مخرجًا باستعماله هذا النوع من الكلام الغامض، الذي يؤوله السامعون كل منهم حسب فهمه، ومن ثم فقد امتازت أسجاعهم بعدم وضوح الدلالة وكثرة الاختلاف والتأويل فيها.

ومن الملاحظ أيضًا أنهم كانوا يعتمدون في قسمهم على الظواهر الكونيّة، التي تؤول إلى قوّة غيبيّة، لإضفاء الرهبة على تنبؤاتهم التي زعموا أنها تأتيهم من الغيب بالرئي، ومن ذلك نجد:

- قسم سواد بن قارب الدوسي: ''والسماء والأرض، والغمر

والبرض، والقرض والفرض، إنكم لأهل الهضاب الشم، والنخيل العم، والصخور الصم". والغمر: الماء الكثير، والبرض: الماء القليل، والقرض: ما تعطيه لتقضاه، والفرض: ما فرضته على نفسك فوهبته أوجدت به لغير ثواب. (صفوت، 1993، 1/83).

- وقسم سطيح الذئبي: "والشفق، والغسق، والفلق إذا انشق، إن ما أنبأتك به لحق" (صفوت، 1993، 1/93).
- وقسم الزبراء: "واللُّوح الخافِقِ، والليل الغَاسق، والصَّباح الشّارق، والنّجم الطارق، والمزن الوادق، إن شجر الوادي ليأدو ختلًا، ويخرق أنيابًا عصلًا، وإن صخر الطود لينذر ثكلًا، لا تجدون عنه معلًا". (صفوت، 1993، 1/111).
- وقسم عفيراء: "أقسم برافع السماء ومنزل الماء من القماء، إنه لمطل الدماء، ومنطق العقائل نطق الإماء". القماء: السحاب الكثيف (صفوت، 1993، 1/117).

ثالثًا:

اعتمد العرب على القسم في توثيق الأحلاف والعهود والاتفاقيّات؛ فقد كان النظام القبلي عند العرب قبل الإسلام يقوم على أساس الأحلاف، التي يتشكل منها الجانب السياسي في حياتهم، فمن خلال الأحلاف كانت تتشكل القبائل؛ فتنضم العشائر الضعيفة إلى العشائر القوية، طلبًا للحماية ورد العدوان، خاصة أنَّ حياتهم في هذا العصر لم تكن مستقرّة بسبب ما كان يدور بينهم من خلافات لتنافسهم على الماء والكلأ، فكانوا يتحالفون بحثًا عن روح الأمن والاستقرار، وحفاظًا على الحقوق.

وقد انتشرت ظاهرة الحلف السياسي بين القبائل العربية القديمة، ومرجع هذا إلى أنَّ القبائل البدويّة لمْ تكن تخضع لحكومة مركزيَّة تنظم أمور الحياة بينهم، وفي ضوء حياتهم البدوية المتنقلة تحت تأثير ظروف الطبيعة القاسية، كانوا يواجهون مشاكل كثيرة كرد فعل للمصالح المشتركة، والمتعارضة كثيرًا بين القبائل بسبب ضيق الحياة في البادية، وهو ما ترتب عليه أنَّ أصبحوا يعيشون في حالة من الخوف والقلق من بعضهم البعض، وهم في حذر أن تقع المنازعات بينهم؛ ولهذا كان لابد أن تتوحد القبائل، وتنضم بعضها إلى بعض لتشكيل قوة ماديّة تعزّز من تماسكها، على غِرار ما يحدث في الدول الحديثة، وقد أكَّد على هذه الظاهرة أكثر مؤرخي الأدب العربي وبعض الباحثين (عشماوي، 1994).

وعليه يتبيَّن أنَّ تسمية الأحلاف بهذا الاسم ترجع إلى لفظ الحَلِف، فهو أصل المادة اللغويّة التي اشتقت منها فكرة الأحلاف بمغزاها السياسي، والذي كان ملزمًا لهم في كل ما يأخذونه على أنفسهم من عهود ومواثيق، "فالحِلف بالكسر تعهد بين القوم. والصداقة، والصديق يحلف لصاحبه ألا يغدر به. ففي الحلف قسم وتعهد بالصداقة والأمانة وألا يغدر الحليف بحليفه" (عشماوي، 1994، ص. 134). وبهذا المعنى فإنَّ قسمهم كان ينطوي أيضًا على التحذير لمن يحلف حانثًا بيمينه.

وقد ارتبط القسم لديهم بقوة المعاهدات، وهذا من ارتباط الغيبي عندهم بالدنيوي، وهو ارتباط تكشف عنه هذه النقلة للدلالة اللغويّة للكلمة من الحلف بمعنى القسم إلى الحلف بمعنى الالتزام السياسي.

وكان للعرب طرق خاصة يتَّبعونها عند القسم؛ ليؤكدوا من خلالها على التزامهم بما يُقسِمون عليه، مثل غيرهم من الشعوب الأخرى، فالعبرانيّون على سبيل المثال كانوا يغمسون أيديهم في ماء أو عطر تأكيدًا لما يأخذه المتعاهدون على أنفسهم، ويصف الفراهي هذه الطقوس التي كان يتَّبعها العبرانيّون عند القسم بقوله إنّهم إذا غمسوا أيديهم في إناء به ماء: "فكأنهم أخذ بعضهم يد بعض وأجمعوا أمرهم بما مسّهم شيء واحد، والماء أبلغ في المسّ واللصوق ولذلك قالوا بلَّ بالشيء يدي أي لصق به، وربما أخذوا عطرًا فاقتسموه بينهم ومسحوا به أيديهم فراحوا وعبقه بهم فهو أبقى من الماء" (الفراهي، 1980، ص. 23، 24).

وقد نقلت كتب تاريخ الأدب العربي بعضًا من الطقوس التي كان العرب يقومون بها عند تحالفهم، منها أنهم كانوا يغمسون أيديهم في طيب أو في دم القربان المذبوحة، وكان لغمس أيديهم في هذا الدم –الذي حلَّ محله الطيب فيما بعد– عند قسمهم أهمية كبيرة ؛ فهذا الفعل منهم في ذلك الوقت كان يُعبِّر عن معنى رسخ في عقولهم، فهو عندهم بمثابة الضمان الذي يتأكد معه الالتزام بالمقسم عليه، وقد ذهب أحد الباحثين إلى تعليل هذا الفعل بأنّه نوع من الرباط الدموي، بين القبائل المتحالفة؛ فالعرب "كانوا يحتالون على ربط النسب بين القبيلتين المتحالفتين إنْ لم يكونا من أصل واحد، فيعقدون الحلف على دم الذبائح التي تنحر للآلهة، وهذا الدم يرمز إلى أن العلاقة بين الحليفين هي كعلاقة الدم الذي هو أساس القرابة الدموية" (الحوفي، 1962، ص. 286).

ثمَّ بدأ العرب في استخدام البدائل لدم العهد، مثل العطور، وعصير الفواكه، وقد نقل الشعر الجاهلي صورة للعطور التي كانوا يغمسون أيديهم فيها عند التحالف، ومن هذا ما أشار إليه زهير (ابن أبي سلمى، 1408، ص. 105) بقوله:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما

تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقصة عطر منشم الذي غمس المتحالفون أيديهم فيه عند القسم، من القصص التي أصبحت تجري بينهم مجرى المثل في التطيّر، فقد قيل إنَّ منشم اسم عطارة اشترى منها قوم "جفنة من العطر وتعاقدوا وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غمس الأيدي في ذلك العطر، فقاتلوا العدو الذي تحالفوا على قتاله فقُتلوا على آخرهم. فتطيّر العرب بعطر منشم، وقيل: بل كان عطارًا يشتري منه ما يحنط به الموتى فسار المثل به" (الزوزني، 1423، ص. 140–139).

ومن الطقوس الأخرى التي كان العرب يمارسونها عند التحالف إيقاد النار؛ للتأكيد على صدق قسمهم وعهدهم، فيذكرون منافعها، ويدْعون إلى الله عز وجل بالحرمان لمن ينقض الحلف ويخون العهد، ولقد تحالفت قبائل من مرة بن عوف عند

النار، وتجمعوا حولها، واقتربوا منها، فأحرقتهم، لذلك لُقِّبوا بالمحاش.

ومن هذا ما يُروى عن يزيد بن سنان بن أبي حارثة الذي كان يمحش المحاش، وهم من بني خُصيلة بن مُرَّة، وبنو نشبة النار رهط النابغة، الذين تحالفوا على بني يربوع على فسمُّوا المِحاش؛ لتحالفهم على النار، "ثم أخرجهم يزيد إلى بني عذرة بن سعد، وكلهم يقول: إن النابغة وأهل بيته من عُذرة، ثم من ضَبَّة، فقال يزيد في ذلك يُعيّر النابغة، ويُعرِّض به" (الذبياني، د.ت، ص. 102):

إنّي امرؤ من صلب قيسٍ ماجد
لا مدَّع نسبًا ولا مستنكِر

فرد عليه النابغة فقال :

جَمِّعْ مِحاشَكَ يا يَزِيدُ فَإِنَّني
أَعْدَدْتُ يَرْبُوعًا لكُمْ وَتَمِيمَا
ولَحِقْتُ بالنَّسَبِ الذي عيَّرْتَنِي
وتركتُ أَصْلَكَ يا يَزِيدُ ذَمِيمَا

ومازالوا على ذلك إلى أن كان الحلف الذي شهده رسول الله ﷺ وهو حلف المطيبين، الذي يُعد من أشهر الأحلاف في الجاهلية، وقد سموا بهذا الاسم نسبة إلى العطر الذي غمسوا فيه أيديهم ومسحوا به الكعبة حينما عقدوا أيمانهم.

المبحث الثاني: دلالة القسم الوارد في الشعر الجاهلي على معتقدات الجاهليين:

كان العرب في الجاهلية على معتقدات ومذاهب متعددة؛ فبعضهم آمن بالله وحده ولم يُشرِك بشئ معه، بينما آمن آخرون بالله ولكنهم عبدوا الأصنام زاعمين أنها تقربهم إلى الله الذي يعبدونه، كما كان منهم من عبد الأصنام واعتبروها آلهة معتقدين أنَّها هي التي تنفع وتضر، وأنَّها هي التي تتحكم في حياة الإنسان، كما أنكروا كل شيء بعد الموت من بعث وقيامة وحساب وجزاء، بالإضافة إلى ذلك فكان هناك من اعتنق اليهودية والنصرانية، ومن دان بالمجوسية، ومن تزندق، ومنهم من لم يكن له اعتقاد بشيء (سائب الكلبي، 1914).

وبالنظر إلى القسم الوارد في ديوان الشعر الجاهلي، والذي تؤول دلالته إلى تلك المعتقدات التي سادت في تلك الحقبة الزمنية؛ يتبين بروز منحيين؛ هما: القسم الوارد عن الحنفاء، والقسم الوارد عن ذوي المعتقدات الباطلة من عبدة الكواكب والأصنام.

أولًا: قسم الحنفاء

إنَّ القسم الوارد عن الحنفاء يتبيَّن منه مدى نزعتهم الدينيّة، المتمثلة في شعورهم بقدرة الخالق، وعظمته، ومراقبتهم لهم، وقد ذكر النجريمي الكثير من تلك الصيغ التي استخدمها الحنفاء في قسمهم، ومنها: "لا والذي أخرج العَذق من الجَرِمة"–العذق النخلة، والجرمة التمرة–. "لا والذي فلق الحبَّة، وبرأ النَّسمة" –النسمة كل نفس ذات تنَفس. "لا والذي دحى الأرض". "لا والذي سجد له النجم والشجر". "لا والذى سَمَكَ السماء". "لا ومُجري البحر". "لا ومنشئ السحاب" . "لا ورب الشمس والقمر". "لا والذي أخرج الماء من الحجر، والنار من الشجر". "لا ورب النور والظلام" (النجريمي، 1343، ص. 16 – 20).

وعليه نجد أنَّ شعراء تلك الطائفة من الحنفاء، الذين رفضوا عبادة الأصنام، وكل ما يتعلق بها من الأحكام كالنحائر وغيرها، كانوا يُقسمون بالله تعالى فيما ورد عنهم من الشعر، كما في قسم عدى بن زيد في رسالته للنعمان (العبادي، 1385، ص. 61):

إنَّني والله فاقبَلْ حَلْفَتي
لَأَبِيْلٌ كلَّما صَلَّى جَأَرْ

وقسم عبيد بن الأبرص (الأبرص، 1414، ص. 42):

حَلَفتُ بِاللهِ إِنَّ اللهَ ذو نِعَمٍ
لِمَن يَشاءُ وَذو عَفوٍ وَتَصفاحِ
ما الطَرفُ مِنّي إِلى ما لَستُ أَملِكُهُ
مِمّا بَدا لي بِباغي اللَحظِ طَمّاحِ
وَلا أُجالِسُ صُبّاحاً أُحادِثُهُ
حَديثَ لَغوٍ فَما جِدّي بِصُبّاحِ

ثانيًا: القسم الوارد عن عبدة الكواكب والأصنام:

ترجع عبادة الكواكب عند بعض الجاهليين إلى نظرة الإنسان الخاصة إلى الشمس والقمر؛ لأثرهما البارز في حياته اليوميّة، فقد لفت انتباه الإنسان في هذه الحِقبة الزمنية كل من الشمس والقمر، بسبب تأثيرهما عليه وعلى الأجواء التي يعيش فيها، فهما يؤثران على تكوين الليل والنهار والفصول التي تمر عليه، مما جعله يعتقد أنَّ كل ما يحيط به، هو نتيجة من فعل هذين الجرمين، ومن أجرام أخرى أقل شأنًا منهما عليه، وبناء على هذا الاعتقاد رسخ في ذهنه أنَّ التقرّب والعبادة لهذين الجرمين ولغيرهما من الأجرام فيه إرضاء لها، وسيكون سببًا لأنْ تُغدِق عليه تلك الأجرام بالنعم والسعادة والمال والبركة في كل أمور حياته؛ ولذلك صار عابدًا للكواكب وتقرَّب إليها بالنذور والصلوات (علي، 1422، ج11، ص. 50) .

وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأنَّ عبادة أهل الجاهلية للأصنام هي في الأصل عبادة الكواكب، وأنَّ أسماء الأصنام والآلهة على كثرتها وتعددها فإنها ترجع إلى الثالوث السماوي الذي يرمز إلى عائلة صغيرة، هي: الشمس والقمر والزهرة؛ فالشمس هي الأم، والقمر هو الأب، والزهرة هي الابن، ومن ثمَّ فقد ربط هؤلاء العلماء بين أسماء الآلهة وهذا الثالوث السماوي، وفسروا من خلال هذا الربط سبب عبادة الإنسان للأصنام، بقولهم إن "أكثر أسماء الآلهة، هي في الواقع نعوت لها، وهي من قبيل ما يقال له الأسماء الحسنى لله في الإسلام" (علي، 1422، ج11، ص.50).

ويرجع سبب انتشار عبادة الأصنام بين العرب إلى ما وقع بين العرب في مكة من الحروب والعداوات، التي دفعتهم إلى الخروج من مكة بحثًا عن الحياة الآمنة، وكان لا يرحل من مكة أحد إلا وحمل معه حجرًا من حجارة الحرم، تعظيمًا للحرم وشوقًا إلى مكة. وكانوا حين يستقرّون ينصبون هذا الحجر ويطوفون حوله مثلما كانوا يطوفون بالكعبة، وبالتدريج عبدوا تلك الأحجار، وصاروا إلى ماكانت عليه الأمم من قبلهم من عبادة الأصنام.

فعبادة الأصنام كانت منتشرة انتشارًا واسعًا قبل الإسلام، ويكفي أنْ نُشير إلى أنَّه غالبًا ما كان يُوجد في كل دار صنمًا، بل إنَّ بعضهم من كان يتخذ بيتًا خاصًا للأصنام، ومنهم من كان ينصُب حجرًا أمام الحرم ويطوف به مثل الطواف بالكعبة، فكان الرجل منهم إذا سافر، أخذ معه أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربًّا، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلًا آخر، فعل مثل ذلك'' (سائب الكلبي، 1914، ص. 33). وهذا بالتالي يُفسِّر سببًا من أسباب تعدُّد الآلهة وكثرتها في العصر الجاهلي.

ويُلاحظ أنَّ كثرة الآلهة وتعدّدها كان مرتبطًا بطبيعة الحياة في تلك القبائل، فقد كان لكل قبيلة إله خاص يحميها، ويدافع عنها في الحروب والشدائد، فإذا تحالفت القبائل تحالفت معها آلهتها، أما إذا تحاربت هذه القبائل، فيكون لهذه الحرب أثر كبير على تلك الآلهة من حيث العدد ''فقد ينصرف المغلوبون عن آلهتهم إلى عبادة آلهة أخرى؛ لأنّها أصبحت ضعيفة لا قدرة لها على الدفاع عن عبدتها. وقد يتأثر الغالبون بعبادة المغلوبين الذين خضعوا لهم، فيضيفون آلهة المغلوبين إلى آلهتهم، فيزيد بذلك عدد الآلهة'' (علي، 1422، ج11، ص.42).

وقد ترتب على كثرة الأصنام في تلك الفترة أنَّها لم تكُن جميعها مشهورة فيما بينهم؛ فمع أنَّها كانت تشكّل جانبًا مُهمًّا من جوانب حياتهم الدينيَّة، وكانوا يتعبَّدونها؛ إلَّا أنَّها لم تُذكر في أقسام الشعراء إلّا نادرًا. وكان الشعراء يقصرون في أقسامهم على الأصنام التي كانت معروفة وشائعة فيما بينهم، مثل اللّات والعزى ومناة وغيرها، ولهذا قيل إنَّ ''آلهة القبائل أو المدن الرئيسيّة تكون هي الآلهة الرئيسية للحلف. ويكون إله القبيلة ذات النفوذ أو العاصمة عندئذ، هو إله الحكومة الكبير. أما الآلهة الأخرى، فتكون دونه في المنزلة'' (علي، 1422، ج11، ص.42)، كما في قسم أوس بن حجر باللَّاتِ والعُزّى(حجر، 1400، ص. 36):

وَباللَّاتِ والعُزّى وَمَن دانَ دِينَها
وبـاللهِ إنَّ اللهَ مِنهُـنّ أكبَـرُ
أُحـاذِرُ نَـجَّ الخَيلِ فَوقَ سَراتِها
وَرَبّـاً غَـيـوراً وَجـهُهُ يَتَـمَـعَّرُ

وقسم المتلمّس الضبَعي(الضُّبَعي،1390، ص. 42):

أَطرَدتَني حَذَرَ الهِجاءِ وَلا
وَاللاتِ وَالأَنصابِ لا تَئِلُ

وَرَهَنتَني هِنداً وَعِرضَكَ في
صُحُفٍ تَلوحُ كَأَنَّها خِلَلُ

ويُلاحظ أنَّ الجاهليين كانوا يعبدون الأصنام ويسمونها بالإناث كاللات والعزى ومناة، وهو ما جاء ذِكره في قوله تعالى بسورة النجم في أسلوب توبيخي: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (19) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ (20) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ (21) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ (22) إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ (23)﴾[النجم: 19 – 23].

فقد كان العرب يُعظِّمون تلك الأصنام الثلاثة بشكل لم يعظموا فيه شئ آخر، قال ابن المنذر: ''لم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئا من الأصنام إعظامهم العُزَّى ثم اللات ثم مَناة، فأما العُزَّى فكانت قريش تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية، وذلك فيما أظن لقربها كان منها، وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش العُزَّى، وكانت الأوس والخزرج تخص مَناة كخاصة هؤلاء الآخرين، وكلهم كان معظما لها أي للعزى'' (الكلبي، 2000، ص.27)، وقد بلغ من حفاوة العرب بتلك الأصنام الثلاثة أنّهم كانوا يُقسمون بها ''كقولهم لا واللات والعُزَّى، لا ومَناة'' (النجيمي، 1343، ص.23).

وقد تعدَّدت أقوال المفسرين والمؤرخين في أصل هذه الأصنام الثلاثة: اللات والعزى ومناة، ويطول بنا المقام إذا ما تطرّقنا لهذه الآراء بالعرض والتفنيد، وما يهمنا هو أنَّ تلك الآراء في مجموعها تؤول إلى أنَّ عبادة هذه الأصنام الثلاثة ترتبط بعبادة الأسلاف، وهي العبادات القديمة، ومنها ما جاء ذِكره في القرآن الكريم عن عبادة قوم نوح عليه السلام، بقوله تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَاراً (21) وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً (22) وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً (23) وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيراً وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلاً (24)﴾[نوح: 21 – 24].حيث رفض القوم دعوة نوح عليه السلام بعبادة الله وحده، واتبعوا الملأ والأشراف الذين دعوهم إلى التعصب على ما هم عليه من الشرك، وألا يتركوا ما عليه آباؤهم الأقدمون، في عبادة آلهتهم الخمسة المذكورة ، وهي أسماء رجال صالحين لما ماتوا زيّن الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم ''لينشطوا –بزعمهم– على الطاعة إذا رأوها، ثم طال الأمد، وجاء غير أولئك فقال لهم الشيطان: إن أسلافكم يعبدونهم، ويتوسلون بهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، ولهذا أوصى رؤساؤهم للتابعين لهم أن لا يدعوا عبادة هذه الآلهة'' (السعدي، 1420، ص. 889).

فتعبُد الجاهليّين لهذه الأصنام الثلاثة –اللات والعزى ومناة– يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتعبد على طريقة عبادة السلف، التي كانت معروفة لدى الشعوب القديمة، وقد دفعهم إلى هذه العبادة للأسلاف ''اعتقادهم بأن أرواح أمواتهم تلازمهم قبورهم، فالهامة

في نظرهم تلازم الخرائب والقبور، كما تلازم أهل الميت وولده لتعلمه بخبرهم. فأرواح أمواتهم تبقى بينهم، ومن المفروض عليهم تقديسها. كان تقديسهم للسلف وعبادتهم لهم، ناشئًا عن حبهم وتقديرهم لأجدادهم العظام، وأبطالهم ورؤسائهم" (برو، 1422، ص. 287، 288).

ثالثًا: دلالة القسم الوارد عن الأماكن التي لها قداسة دينيّة لدى الجاهليّين:

من أبرز مظاهر القسم لدى الجاهليّين أنَّهم كانوا يقسمون بالأماكن التي لها قداسة دينيّة في نفوسهم، والتي كان من أبرزها الكعبة والانصاب؛ بغرض إشهاد معبوداتهم على ما يأخذونه على أنفسهم من عهود ومواثيق، فعلى سبيل المثال نجد أنَّ قريشًا كانت تجري الأقسام حين التحالف حول الكعبة؛ لمكانتها المقدسة، كما كانوا يُقسِمون عند الأنصاب التي يذبحون عليها لشفعائهم.

ويُلاحظ أنَّ الشعراء النصارى أيضًا كانوا يُقسمون بالكعبة وبشعائر الحج في أشعارهم، كما في قسم دِرهم بن زيد الشاعر النصراني، وهو من قبيلة الأوس، اشتُهِر بشعره الذي يعكس من خلاله مفاهيم النصرانيَّة في تلك الفترة، وقد جاء قسمه لقومه في يوم سمير، وهو من أيام الأوس والخزرج، بألَّا يسلموا أخاه للخزرج، ليقتل بحليفهم، متوعِّدًا لهم إنْ فعلوا هذا، بقوله (الجبوري، د. ت.، ص 48):

يا قوم لا تقتلوا سميرا فإن
القتل فيه البوار والأسف
إنْ تقتلوه ترن نسوتكم
على كريم ويفزع السلف
إني لعمر الذي يحجّ له الن
ـاس ومن دون بيته سرف
يمين بـرّ بالله مجتهـــد
يحلف إن كان ينفع الحلف
لا نرفع العبد فوق سنّته
ما دام منّا ببطنها شرف

وهذا يعكس مدى تأثّر الشعراء النصارى بالثقافة العربية الوثنيَّة، والتقاليد الجاهليَّة التي كانت متجذّرة في المجتمع العربي، بل إنّهم استمروا على هذا النهج حتى بعد ظهور الإسلام، كما في قسم الأخطل، وهو أحد شعراء النصارى في العصر الأموي، فقد أقسم بالحج ومناسكه على أنَّ قريشًا قد ألجأته عندما فرّ إثر اضطهاد النصارى له، وأنها أغدقت عليه بالمال، قائلًا (الأخطل، 1968، ص.38):

إنّي حَلَفْتُ بربّ الرّاقصاتِ وَمَا
أَضْحَى بِمَكَّةَ مِنْ حُجْبٍ وأَسْتارِ
وبالهدىّ إذا احْمَرَّتْ مَذارِعُها
فى يومِ نُسْكٍ وتَشْرِيقٍ وتَنْحارِ
وَمَا بِزَمْزَمَ مِن شُمْطٍ مُحَلِّقَةٍ
وَمَا بِيَثْرِبَ مِنْ عُونٍ وأبْكارِ
لأَلْجَأَتْنى قُرَيْشٌ خائِفاً وَجِلًا
ومَوَّلَتْنى قُرَيْشٌ بَعْدَ إقتارِ

وقد عُلِّلت هذه الظاهرة بأنَّها لا تزيد عن كونها مظهرًا قوليًا اعتاد العرب عليه، وهو يرجع إلى ضعف العقيدة وسطحيَّتها بسبب عدم استقرارهم، مع دياناتهم المتعدِّدة المختلطة في ذلك الوقت، فمن المتعارف عليه أنَّ الدين لا تتمكن عقيدته في نفس المؤمن إلا إذا كان يعيش في وطن مستقر، "تقام فيه المعابد ويتولى فيها رجال الدين التوجيه، فيعظون ويعلمون ويشرحون الدين ليتمكن في النفوس. أما أهل البادية فليس لهم وطن مستقر، وهم بدو رحل، ولا معابد ولا رجال دين ولا تعاليم دينيّة، فمن الطبيعي إذا أن تكون عقيدتهم سطحيّة" (الفراهي، 1980، ص. 36، 37). وفيما يلي نتناول نماذج من الشعر الجاهلي التي جاء فيها القسم بالأماكن التي كان لها قداسة دينيَّة في نفوس العرب:

قسم النابغة الذبياني برب الكعبة، وبالقرابين التي ذبحت على أنصابها، وبالمؤمن العائذات الآمنة في الحرم، على أنَّه لم يقل فيما قاله من قول سيئ في حق النعمان بن المنذر (الذبياني، د.ت، ص. 52، 151):

فلا لَعَمْرُ الذي مَسَّحتُ كَعْبَتَه
وما هُرِيقَ على الأَنصابِ من جَسَدِ
والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيرِ يَمْسَحُها
رُكْبانُ مكةَ بين الغِيْلِ والسَّعَدِ
ما قلتُ من سَيِئٍ ممّا أُتِيتَ به
إذاً فلا رَفَعَتْ سَوْطي إلَيَّ يَدِي
إذا فعاقبني ربي معاقبة
قرَّتْ بها عينُ منْ يأتِيكَ بالْفندِ

وقسمه في موضع آخر مادحًا النعمان بن المُنذر، بالأبل؛ لأنها تُعين على الحج. وبالحجاج. وبجبل "إلال":

فلا عَمْرُ الذي أُثْنِي عليه
وما رَفَعَ الحَجِيجَ إلى إلالِ
لَمَا أغفلتُ شُكْرَكَ فانْتَصِحني
وكيف ومِنْ عَطائِكَ جُلُّ مالِي!

وقسم الخنساء بالبيت الحرام، وزواره وبرمي الجمار، على ما حلَّ بها من جزع بعد وفاة أخيها (الخنساء، 1425، ص. 70):

حَلَفْتُ بالبَيْتِ وزُوّارِهِ
إذْ يُعْمِلُونَ العِيسَ نحوَ الجِمارْ
لا أَجْزَعُ الدّهْرَ على هالِكٍ
بَعْدَكَ ما حَنّتْ هوادي العِشارْ

وقسم زهير بن أبي سلمى بالمنازل التي ينزل بها الحجيج في منى، على أنه سيرحل للقوم الذين يمدحهم، ولن يوقفه عن هذا إلّا أن يعوقه عائق يمنعه عن عزمه (سلمى، 1408، ص. 83، 106):

فأَقْسمتُ جَهدًا بالمَنَازِلِ من مِنىً
وما سُحِقَت فيه المَقَادمُ والقَمْلُ
لأَرتَحِلَنْ بالفَجْرِ ثم لأَدْأَبَنْ
إلى الليل إلا أن يُعَرِّجني طِفْلُ
إلى مَعْشرٍ لَمْ يُورِثِ اللُّؤْمَ جَدُّهمْ
أصاغرَهم وكلُّ فَحْلٍ له نَجْلُ

وقسمه في موضع آخر بالكعبة على سمو وكرم الحارث بن عوف وهرم بن سنان، لسعيهما في الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان، وتحملهما ديات القتلى، قائلًا:

فأَقْسَمْتُ بالبَيْتِ الذي طافَ حَوْلَهُ
رِجالٌ بَنَوْه من قُرَيشٍ وجُرْهُمِ
يمينا لنعم السَّيِّدانِ وُجِدْتُما
على كل حالٍ منْ سَحيل وَمُبرَمِ

وقسم طرفة بن العبد عند الحجارة التي يذبحون عليها، في توسله لأبي مُنْذِرٍ، عمرو بن هند، بأنْ ينظر إليه بعين الشفقة والرحمة، ولا ينفذ فيه أمر القتل (العبد، 1958، ص. 211، 203):

فَأَقْسَمْتُ عِنْدَ النُّصْبِ إنِّي لَمَيِّتٌ
بِمَتْلَفَةٍ لَيْسَتْ بِغَبْطٍ وَلا خَفْضِ

وقسمه في موضع آخر برب الإبل التي يُسابق بعضها بعضًا أيام الحج على شجاعته وقوته في مواجهة الأعداء:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصاتِ إلى مِنىً
يُبارِينَ أيَّامَ المَشَاعِرِ والنَّهْضِ
لَئِنْ هِبْتُ أقْوَاماً بَدَتْ لى ذُنُوبُهم
مَخَافَةَ رَحْبِ الصَّدْرِ ذى جَدَلٍ عَضِّ

وإنَّه ليتبيَّن من مجموع هذه الأقسام الواردة عن الجاهليين في فترة ما قبل الإسلام؛ أنَّ القسم كان يُعتبر في حياتهم أساسًا للوفاء والالتزام بالعهود والمواثيق في علاقاتهم الاجتماعية والقبلية. كما يتبيَّن مدى الضلال الذي كانوا فيه؛ إذ كانت معتقداتهم تتراوح بين الوثنيّة وعبادة الأوثان والأجرام السماوية مثل الشمس والقمر والنجوم، إضافة إلى عبادة الأصنام، فقد كان لكل قبيلة إله محلي خاص بها، وكانوا يقدّسون هذه الأشياء التي يتعبدونها؛ فقد كان لديهم أماكن تقام فيها الطقوس وتقدّم فيها القرابين لتلك المعبودات، التي اعتقدوا بقدرتها على التحكم في مصيرهم، وفضلًا عن هذا فقد انتشرت بينهم بعض الخرافات والأساطير، التي ارتبطت بطبقة الكهّان وتكهّنهم بأنَّهم يطّلعون على الغيب.

المبحث الثالث: الآثار المترتّبة على المعتقدات الضالة والتحذير من عواقبها:

إنَّ المتتبع لأحوال العرب بعد أنْ بُعث النبي ﷺ، ودعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك ما كانوا عليه من كفر وشرك بالله تعالى، يجد أنَّ مواقفهم تباينت، فمنهم من استجاب للدعوة الإسلاميَّة، بينما تمسَّك غيرهم بما كانوا عليه من المعتقدات الضالة، بل إنَّهم تصدوا للنبي ﷺ وللمسلمين، وكان هدفهم القضاء على الدعوة الإسلامية في مهدها، بشتى الحيَل والأساليب التي تنبثق من العداوة والبغضاء، وما يتبعهما من كذب ونفاق وتناحر وما إلى ذلك من الآفات الأخلاقيّة، وكان وراء هذا الموقف من تلك الطوائف الضالة يعود إلى أسباب كثيرة، منها ما يرتبط بالجانب الاجتماعي، أو بالجانب المادي، أو بالجانب السياسي، أو بالجانب الديني.

وما يهمنا في إطار هذه الدراسة الأسباب التي ترتبط بالجانب الديني، والتي يأتي في مقدمتها تمسّك تلك الطوائف بمعتقداتها الباطلة، فقد تعجّبوا من أنَّ النبي ﷺ دعاهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ آلهتهم الكثيرة، التي كانوا يعبدونها مثل آبائهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ (104)﴾[المائدة: 104]، ومن ثمَّ فهم يغلقون عقولهم، ويتمسّكون بعبادتهم للأصنام، التي ينحتونها بأيديهم، ويحاربون الدين الذي يدعوهم إلى عبادة الخالق العظيم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا (55)﴾[الفرقان: 55]، ويحاربون الرسول ﷺ بسبب تسفيهه آلهتهم: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ (36)﴾[الأنبياء: 36]، ويكذّبون بالبعث والحساب، وهو ما دفعهم إلى السخرية من النبي ﷺ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ (7)﴾[سبأ: 7]

وكان القسم الذي درجوا عليه هو الدعامة التي استندوا عليها، تثبيتًا لِما يتقوّلون به، في حربهم للنبي ﷺ والمسلمين، فقد جاء في القرآن الكريم أقسامٌ على لسان الكفّار والمنافقين؛ وهما الطائفتان الباقيتان على معتقداتهما في الجاهلية، وقد تنوعت الآيات التي جاء فيها قسمهم، فمنها ما جاء بأسلوب القسم الصريح، ومنها ما جاء بأسلوب القسم غير الصريح، وهو ما تناوله في المحورين التاليين.

المحور الأول: القسم الصريح الوارد في النصوص القرآنية عن الضالين المعاندين:

وقد آثرنا اختيار صيغتين جاءتا في الآيات التي وردت فيها جملة القسم مُصدَّرة بواحد من الفعلين المشتقين من: قَسَمَ-وحَلَفَ، بهدف الإحصاء الدقيق، وصولًا إلى الدلالة التي توحي بها كل من هاتين اللفظتين في موضعهما، وهو مغزى هذه الدراسة، التي تسعى الباحثة فيها إلى الكشف عن الآثار المترتبة على المعتقدات

الضالة، بما يتبعها من كفر وشرك وتكذيب الرسول ﷺ، وإنكار اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء.

ويُلاحظ أنَّ مفردة القسم جاءت في سبعة مواضع على لسان ذوي المعتقدات الضالة، منها أربع مرات في الحياة الدنيا، والثلاثة الباقية في الآخرة، أمَّا مفردة الحلف فقد وردت في ثمانية مواضع على لسان ذوي المعتقدات الضالة، منها سبع مرات في الحياة الدنيا، والمرة الأخيرة في الآخرة، وفيما يلي توضيح لما تؤول إليه دلالة القسم والحلف في هذه الآيات.

أوَّلًا: دلالة قسم ذوي المعتقدات الضالة في الحياة الدنيا:

الجدولان التاليان فيهما بيان بالآيات التي جاء فيها قسم ذوي المعتقدات الضالة في الحياة الدنيا، فقد أدْرجتُ فيهما:

- قسم ذوي المعتقدات الضالة في الحياة الدنيا بالفعل (قَسَمَ)، لبيان دلالة قسمهم، والباعث الذي دفعهم إلى هذا القسم.
- قسم ذوي المعتقدات الضالة في الحياة الدنيا بالفعل (حلِفَ)، لبيان دلالة قسمهم، والباعث الذي دفعهم إلى القسم.

جدول(1)

قسم ذوي المعتقدات الضالة بالفعل(قَسَمَ) – الدلالة والباعث:

	الآيـات	الدلالة	الباعث
1	﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ(53)﴾ [المائدة :53].	التمسك بالمعتقدات الضـالة	الضلال الذي هم فيه، والذي دفعهم إلى الكذب واختلاق الحجج للمراوغة.
2	﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (38)﴾ [النَّحل : 38].		
3	﴿۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (53)﴾ [النُّور : 53].		
4	﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا (42)﴾ [فاطر : 42].		

جدول(2):

قسم ذوي المعتقدات الضالة بالفعل"حَلَفَ" – الدلالة والباعث:

	الآيـــات	الدلالة	الباعث
1	﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (42)﴾ [التوبة :42].	التمسك بالمعتقدات الضالة	الضلال الذي هم فيه، والذي دفعهم إلى الكذب واختلاق الحجج للمراوغة
2	﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ (56)﴾ [التوبة :56].		
3	﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ (62)﴾ [التوبة :62].		
4	﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ (74)﴾ [التوبة :74].		
5	﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (95)﴾ [التوبة :95].		
6	﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ (96)﴾ [التوبة:96].		
7	﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (107)﴾ [التوبة :107].		

يتبيَّن من الجدولين السابقين أنَّ قسم الكفّار والمشركين للنبي ﷺ كان بالكذب، فهذا القسم لم يكن منهم سوى وسيلة لجأوا إليها للمراوغة باختلاق الحجج؛ للمدارة على عداوتهم، وعلى السبل التي لجأوا إليها لمحاربة الدين الإسلامي، وهذا يحمل دلالة قوية على مدى تمسّكهم بمعتقداتهم الضالة في الكفر والشرك بعبادة الآلهة التي قدّسوها، والتي دفعتهم إلى تكذيب الرسول ﷺ، بدعوته إلى التوحيد بعبادة الله وحده، والإيمان بحقيقة البعث والحساب.

كما يُلاحظ أن فعل القسم في المجموعة الأولى من الجدول الأول جاء بصيغة الماضي، بينما جاء فعل الحلف في المجموعة الثانيّة من الجدول الثاني بصيغة المضارعة، وهذا يتناسب مع الدلالة التي أشرنا إليها، لأنَّ:

- القسم في المجموعة الأولى من الآيات الواردة في الجدول الأول، كان يدور بصفة عامة حول وعود كاذبة، وحجج اختلقوها للكذب، وقد ثبت كذبهم للنبي ﷺ وللمسلمين.
- أما الحلف في المجموعة الثانيّة من الآيات الواردة في الجدول الثاني، فإنَّه يُبيّن سببًا من النفاق، ومن ثمَّ فإن الفعل المضارع يتناسب في دلالته مع النفاق الذي لن ينتهي، فهو مرتبط ببقاء النفوس البشريَّة، سواء أكان بنفس المضامين التي أشارت إليه الآيات الكريمة أو بغيرها.

وبهذا تتبين مدى خطورة المعتقدات الضالة، وما يترتب عليها من نشر العداوة والبغضاء والكراهيّة وغيرها من السلبيّات، بكل ما يتبعها من ظلم واضطهاد، ينعكس أثره بالتقويض من قوة وتماسك البنيان في المجتمع الإنساني.

ثانيًا: القسم الوارد عن ذوي المعتقدات الضالة في الآخرة

أ– قسم ذوي المعتقدات الضالة بالفعل(قَسَمَ):

1.جاء القسم الأول لتلك الفئات الضالة في الآخرة، في مشهد الحساب، بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (47) وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (48) أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (49)﴾ [الأعراف: 47 – 49] فهذا المشهد يُصوِّر حال أصحاب الأعراف، وهم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيّئاتهم عن الجنة، فوقفوا على الأعراف، وهي ذلك السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار؛ حتى يقضي الله فيهم (السعدي، 1420، ص 290).

ويُتابع المشهد بنداء أهل الأعراف رجالًا يعرفونهم بسماهم من أهل النار، كانوا في الدنيا لهم الشرف والعزة، فقال لهم أصحاب الأعراف، حين رأوهم مُحضرين في العذاب بلا ناصر: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ في الدنيا شيئًا ثم ، أشاروا لهم إلى أناس من أهل الجنة كانوا في الدنيا ضعفاء يستهزئ بهم الكفار من أهل النار، فقالوا لهم:﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الذين أدخلهم الله الجنة ﴿ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ فقد ''كان الكفار يقسمون في الدنيا عند رؤيتهم لضعفاء المسلمين بهذا القسم. وهذا تبكيت للكفار وتحسير لهم'' (الشوكاني، 1414، 2/237).

وبهذا فإنَّ القسم الوارد في هذا المشهد الأخروي توحي دلالته بحالة الندم التي أضحى أهل الأعراف يعايشونها حين الحساب، والتي وصلوا إليها بسبب ما كانوا عليه من ضلال في الحياة الدنيا.

2.وجاء القسم الثاني في قوله تعالى بسورة إبراهيم: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (44)﴾ [إبراهيم: 44] وتنقل هذه الآية خطاب الله تعالى للنبي ﷺ بأن يُنذِر الذين ظلموا أنفسهم بما هم فيه من ضلال بالكفر والتكذيب، من مصيرهم يوم القيامة، يوم يُعاينون العذاب فيقولون: ﴿أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾ أي ردنا إلى الدنيا نجب دعوتك ونتبع الرسل، للتخلص من المصير والعذاب الذي تيقَّنوا من وقوعه عليهم؛ فيأتي رده تعالى عليهم بالتوبيخ لهم: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ لأنَّهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه؛ وبهذا فإنَّ هذه الآية تؤول دلالتها إلى الندم الذي عايشه أهل الضلال، بعد أنْ واجهوا عاقبة ضلالهم.

3. أمَّا القسم الثالث فجاء في قوله تعالى بسورة الروم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ (55) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(56) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (57)﴾ [الروم: 55 – 57] ، إنَّ هذا القسم يحمل دلالة جليَّة عن الحال التي أضحى فيها أولئك الضالون، حيث حاولوا الخلاص من عاقبة ضلالهم بالقسم الكاذب، الذي لم يُجدِ معهم شيئًا.

ب– دلالة قسم ذوي المعتقدات الضالة بالفعل"حَلَفَ":

جاء القسم بالفعل حلف في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (18)﴾ [المجادلة: 18]، فالمنافقون حين البعث يكون منهم أمر عجيب، ذلك أنهم يحلفون لله إنهم مؤمنون، تمامًا كما كانوا يحلفون للنبيﷺ في الحياة الدنيا على إنَّهم مؤمنون، معتقدين بذلك أن حلفهم بالكذب سيكون نجاة لهم من هوْل المصير الذي ينتظرهم جزاء ما كانوا عليه من ضلال، ولكن هيهات لهم، بعد أنْ انتهى الأمر.

فالدلالة التي يؤول إليها النص القرآني في هذه الآية الكريمة هي محاولة المنافقين الخلاص بالحلف بعد البعث حين تيقَّنوا من حقيقة ما كانوا يكذّبونه. والباعث الذي دفعهم إلى هذا الحلف هو الكذب الذي تمكَّن من نفوسهم، والذي لم يفارقهم حتى في الآخرة.

ويتضح من إجمالي هذه الأقسام للكفار والمنافقين: أنَّ القسم الوارد عن الكفَّار جاء بصيغة الفعل ''قسم'' بينما جاء القسم الوارد عن المنافقين بصيغة الفعل ''حلف''، وهذا يدفعنا بالتالي إلى البحث عن الدلالة التي تؤول إليها كل صيغة من هاتين الصيغتين.

ولما كانت دلالة الكلمة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالأصل الذي اكتسبت منه معناها؛ أصبح علينا أن نبحث عن الأصل الذي نبعت منه هاتان الصيغتان المستخدمتان في القسم والحلف؛ وصولًا إلى دلالة كل منها.

1.صيغة القسم: لقد ربط النحاة وأهل اللغة بين القسم والقطع؛ فقالوا إنّ القسم هو في أصله يعني القطع، والقطع يستعمل لنفي الريب والشبهة. ولذلك شواهد عندهم كالصريمة

والجزم والقول والفصل والإبانة والصدع والقطع. فهذا هو الأصل في رأيهم، ثم اختص القسم من بين هذه الألفاظ للتعبير عن شدّة الفصل في القول (الراوي، 1397، ص. 6).

2. صيغة الحلف: ذهب بعض الباحثين إلى اعتبار أنَّ صيغة الحلف تُعد لفظًا مساويًا في معناه للقسم، كما طالعتنا بذلك أيضًا كتب اللغة ؛ قال ابن منظور:"الحِلْف والحَلِف القسم لغتان. حلف أي أقسم يحلف حَلْفاً وحِلفاً وحِلِفاً ومحلوفاً والواحدة حلفة" (ابن منظور، 1419، 4/285).

ولما كانت الدلالة اللغويّة لهذا اللفظ، تكشف عن كونه وإنْ كان يستخدم في القسم، فإنه لا يساوي القسم في الدلالة الأدبيّة، أي أنّه لا يرادفه، ولهذا قالت الدكتورة عائشة إنَّ "استقراء الكلمتين في القرآن يمنع هذا الترادف: فلقد جاءت مادة "حلف" في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعا، كلها بغير استثناء، في مقام الحِنْث باليمين...أما القسم فيغلب مجيئه في الأيمان الصادقة. وجاء المصدر منه موصوفًا بالعظمة في سورة الواقعة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(76)﴾ [الواقعة: 76]. فاختلاف مادتي اللفظين يؤذن باختلاف مدلول كل منهما، وبين حلف وحنث من القرب، ما ليس بين حلف وقسم، مما يبعد معه أن يكونا سواء" (عبد الرحمن، 1968، 1/167).

كما رفض الدكتور يوسف خليف، ما ذهب إليه بعض علماء اللغة مثل ابن منظور وغيره من قولهم إنَّ الحلف يعني القسم، فقال إنّ كل المواضع التي ورد بها فعل الحلف "في القرآن الكريم كان في مقام الحنث باليمين. ومن هنا لم ترد مقترنة بالله. ولعل ذلك الذي جعل صاحبي لسان العرب والقاموس المحيط وغيرهما من علماء اللغة يذكرون أن الحلف معناه القسم، غير أن الحلف الذي ورد في القرآن الكريم لا يصح أن يكون مرادفًا للقسم. ولعله أيضًا الذي جعل الزمخشري في أساس البلاغة يربط بين الحلف والأيمان الكاذبة" (خليف، د. ت.، ص112).

وفي ضوء الفرق بين هاتين اللفظتين يتبيَّن مناسبة صيغة القسم للكفَّار؛ لأنَّهم يجهرون بكفرهم، ومناسبة صيغة الحلف للمنافقين؛ لأنّهم يُظهرون الإيمان ويخفون كفرهم وعداوتهم التي فضحها النص القرآني.

المحور الثاني: القسم غير الصريح الوارد في النصوص القرآنيّة عن الضالين المعاندين:

حذَّر الله تعالى الكفار والمنافقين عاقبة ضلالهم، بتصوير حالهم في الآخرة حين يواجهون مصيرهم، إذ يحاولون الخلاص من هذا المصير بالقسم، الذي درجوا عليه في حياتهم الدنيا للتأكيد على حقيقة ما يتقوّلون به، ومن هذه الآيات نجد:

- قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23)﴾ [الأنعام: 22 – 23] فالقسم في هذه الآية يكشف عن كذبهم المتأصل فيهم، إذ أقسموا بالله أنهم لم يكونوا مشركين.
- وقوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95) قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (98) وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (102)﴾ [الشُّعَرَاء : 94 – 102] إنَّ القسم في هذه الآيات من الضالين المعاندين لمن كانوا سببًا في غوايتهم؛ يبيّن حالة الندم والحسرة التي وصلوا إليها؛ لذلك نجدهم يتمنون العودة إلى الدنيا؛ ليطيعوا ربهم ويكونوا من المؤمنين.
- وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (34)﴾ [الأَحْقَاف: 34] جاء القسم في هذه الآية بلسان الضالين المعاندين اعترافًا منهم بحقيقة البعث والجزاء حين واجهوا مصيرهم .

وعليه فإنَّ هذه الآيات تحذِّر الضالين المعاندين عاقبة كفرهم ونفاقهم، بتصوير مشهد من مشاهد يوم القيامة؛ الذي يحاولون فيه التخلص من المصير الذي يواجههم، باستخدام القسم الذي اعتادوا عليه في حياتهم الدنيا، والذي لم ولن يُجْد معهم شيئًا بعد فوات الأوان.

ويُلاحظ أن القسم غير الصريح في هذه الآيات يتناسب وحالة الندم التي أضحى فيها المعاندون من الكفار والمنافقين، بعد أن عاينوا العذاب الذي ينتظرهم جزاء ضلالهم، وهذه الحالة يتناسب معها القسم غير الصريح؛ الذي يُبرز حجم التغير الجذري في مشاعرهم بعد البعث.

الخاتمة:

وبعد هذه الدراسة التي تناولتُ فيها أسلوب القسم ودلالته على معتقدات العرب قبل الإسلام، بالنظر إلى بواعثه والآثار المترتبة عليه؛ فقد توصلت إلى نتائج، من أهمّها:

1. القسم كان له أهميَّة كبيرة في حياة العرب في العصر الجاهلي؛ ومرجع هذا إلى:
   - أنَّ القسم كان بمثابة القوة التنفيذيّة، التي تكفل وتضمن الوفاء بالعهود والمواثيق والالتزام بالاتفاقيّات.
   - اعتمد العرب على القسم في توثيق الأحلاف، التي كانت تشكّل الجانب السياسي في حياتهم، مما أدّى إلى انتشار ظاهرة الحلف السياسي بين القبائل العربية.
   - القسم كان يُمثّل الدعامة التي استند عليها الكهان في الإيحاء بمصداقيّة علمهم بالغيب، للسيطرة والهيمنة على العقول.
2. كان العرب يلجأون إلى الأماكن المقدسة –من أبرزها

الكعبة– ليُشهِروا قسمهم في طقوس خاصة، ضمانًا للوفاء، وتحذيرًا من الحنث في اليمين.

3. تنوعت صيغ القسم التي اعتمد عليها العرب والشعراء؛ لارتباطها بمعتقدات الطوائف التي كان يتألَّف منها المجتمع في هذه الحقبة الزمنيَّة.

4. عبَّر القسم عن جوهر العلاقات الاجتماعيّة التي كانت سائدة قبل الإسلام.

5. لم يرد القسم بالأصنام الكثيرة التي كان يتعبدها الجاهليّون في بيوتهم في الموروث الشعري إلا نادرًا؛ لكثرتها وقصورها على المتعبِّد ذاته، في حين كانوا يقسمون بالأصنام التي ذاعت شهرتها وفي مقدمتها اللات والعزى ومناة.

6. ترتب على معتقدات الجاهليّين الضالة التي تمكَّنت من نفوس ذويها؛ مناهضتهم للنبيﷺ؛ بسبب دعوته إلى عبادة الله وحده، ونبذ الأصنام وغيرها مما كانوا يتعبّدونه.

7. تبيَّن من القسم الوارد عن الطوائف الضالة من الجاهليّين في النصوص القرآنية أنَّ:

- قسمهم سواء أكان في الدنيا أم في الآخرة؛ كان يُمثِّل أسلوبًا خاصًا في المكابرة، ويدور حول تكذيب النبيﷺ، وإنكار حقيقة التوحيد، وما يترتب عليها من إيمان بالبعث والحساب.
- قسمهم كان يحمِل إيحاءًا قويًا بما يدور في نفوسهم من صراعات، دفعتهم إلى الكذب، والنفاق والمراوغة باختلاق الحجج.
- من رحمة الله تعالى بتلك الطوائف الضالة أنَّه حذَّرهم عاقبة ضلالهم بما ينتظرهم من مصير في الآخرة.

التوصيات:

تفتح هذه الدراسة آفاقًا واسعة أمام الباحثين لتناول العديد من الموضوعات، الملازمة للإنسان؛ والتي ترتبط بالجانب الديني، والثقافي، والأخلاقي، بتسليط الضوء على موضوعات كانت سائدة في الجاهلية؛ سجلتها مدونة الأدب العربي، بهدف:

1. التحذير من السلبيات الاجتماعية: بالتنبيه على خطورة المعتقدات الباطلة التي كانت شائعة في الجاهلية، مثل الجهل، والظلم، والتمييز الطبقي، وكيفية تأثيرها على الأفراد والمجتمعات.

2. تأصيل القيم الإيجابية: بتوطيد القيم الأخلاقيّة المستمدة من الإسلام، مثل العفو، وحسن الخلق، والعدل والتي تتناقض مع المعتقدات التي كانت سائدة في الجاهلية.

المراجع:

ابن أبي سلمى، زهير. (1408). ديوان زهير بن أبي سلمى. (شرح وتقديم: فاعور، علي حسن). (ط1). دار الكتب العلمية.

ابن الأبرص، عبيد. (1414). ديوان عبيد بن الأبرص. (شرح: عَدرَة، أشرف أحمد). (ط1). دار الكتاب العربي.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. (د.ت.). الخصائص. (تحقيق: النجار، محمد علي). (ج3، ط4). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن العبد، طرفة. (1958). ديوان طرفة بن العبد. (تحقيق وتحليل: الجندي، علي). (ط1). دار الفكر العربي.

ابن حجر، أوس. (1400). ديوان أوس بن حجر. (تحقيق: نجم، محمد يوسف). دار بيروت.

ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي. (د.ت). المخصص. (ج13). دار الكتب العلمية.

ابن شداد، عنترة. (2001). ديوان عنترة بن شداد. (تحقيق: شلبي، عبد المنعم عبد الرءوف). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن فارس، أحمد. (1986). مجمل اللغة. (تحقيق: سلطان، زهير عبد المحسن). مؤسسة الرسالة.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري. (1419). لسان العرب. (تصحيح: عبد الوهاب، أمين محمد والعبيدي، محمد الصادق). (ج11، ط3). دار إحياء التراث العربي.

الأخطل، أبو مالِك غِياث بن غَوْثِ بن الصَّلْت التغلبي. (1968). ديوان الأخطل. (شرح: الحاوى، إليّا سليم. دار الثقافة).

الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد. (1412). المفردات في غريب القرآن. (ط1). دار القلم.

امرؤ القيس، جندح بن حجر بن الحارث. (1984). ديوان امرئ القيس. (تحقيق: إبراهيم، محمد أبو الفضل). (ط4). دار المعارف.

برو. توفيق. (1422). تاريخ العرب القديم. (ط2). دار الفكر.

بروكلمان، كارل. (1948). تاريخ الشعوب الإسلامية. (ترجمة: فارس، نبيه أمين والبعلبكي، منير). (ط1). دار العلم للملايين.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب. (1424). الحيوان (ج1، ط2). دار الكتب العلمية. البيان والتبيين. (د.ت). (تحقيق وشرح: هارون، عبدالسلام محمد). (ج1). مكتبة الخانجي.

الجبوري، منذر. (د. ت.). أيام العرب في الجاهليّة، قيمتها التاريخيّة– أثرها عند الجاهليين والإسلاميين. وزارة الإعلام.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (1403). كتاب التعريفات. دار الكتب العلميّة.

جمال، مالك محمد بني عطا. (2012). إيمان العرب في الشعر الجاهلي.

(ط1). دار جليس الزمان.

الجندي، علي. (1412). في تاريخ الأدب الجاهلي. (ط1). مكتبة دار التراث.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. (1407). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (تحقيق: عطار، أحمد عبد الغفور). (ج5، ط4). دار العلم للملايين.

حمدي، محمد بركات. (1992). البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل. (ط1). دار البشير.

الحوفي، أحمد محمد. (1962). الحياة العربية من الشعر الجاهلي. (ط4). دار نهضة مصر للطبع والنشر.

خليف، يوسف. (د.ت.). دراسات في القرآن والحديث. (ط1). دار غريب.

الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد. (1425). ديوان الخنساء. (شرح: غطاس، حمدو). (ط2). دار المعرفة.

الذبياني، النابغة. (د.ت). ديوان النابغة الذبياني. (تحقيق: إبراهيم، محمد أبو الفضل). (ط2). دار المعارف.

الراوي، كاظم فتحي. (1397). أساليب القسم في اللغة العربية. (ط1). الجامعةالستنصرية.

رضوان، ياسر عبد الحسيب. (1436)، دلالات القسم في الشعر العربي: حلفت برب الراقصات نموذجًا. *مجلة فصل الخطاب*. ج.3. ع 8. 211–274.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1999). المفصل في صنعة الإعراب. (قدم له وبوبه: بو ملحم، علي). دار ومكتبة الهلال.

الزوزني، حسين بن أحمد حسين. (1423). شرح المعلقات السبع. (ط1). دار أحياء التراث العربي.

سائب الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد. (1914). الأصنام. (تحقيق: زكي باشا، أحمد). (ط1). المطبعة الأميرية.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (1420). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (تحقيق: اللويحق، عبد الرحمن بن معلا). (ط1). مؤسسة الرسالة.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (1414). فتح القدير. (ج2، ط1). دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب.

صفوت، أحمد زكي. (1993). جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة. (ج1، ط1). المكتبة العلمية.

الضُّبَعي، المتلمس. (1390). ديوان شعر المتلمس الضُّبَعي. رواية: الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي. (تحقيق: الصيرفي، حسن كامل). منشورات معهد المخطوطات العربية.

العبادي، عدى بن زيد. (1385). ديوان عدى بن زيد العبادي. (حققه وجمعه: المعيبد، محمد جبار). دار الجمهورية للنشر والطبع.

عبد الرحمن، عائشة. (1968). التفسير البياني للقرآن. (ج1، ط5). دار المعارف.

عبد العال، مهران عبد الله. (1995). أساليب القسم واستعمالاتها في لغة العرب مع دراسة تطبيقية لما ورد منها في القرآن الكريم. (ط1). مؤسسة نبيل للطباعة.

عبد المسيح، جورج متري وتابري، هاني جورج. (1990). معجم مصطلحات النحو العربي. (تصدير: علام، مهدي). (ط1). مكتبة لبنان.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. (1986). الصناعتين الكتابة والشعر. (تحقيق: البيجاوي، علي محمد وأبو الفضل، محمد). المكتبة العصرية.

عشماوي، محمد زكي. (1994). النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية. (ط1). دار الشروق.

علي، جواد. (1422). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. (ج11، ط4). دار الساقي.

الفراهي، عبد الحميد. (1980). الإمعان في أقسام القرآن. دار القرآن الكريم.

الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر. (2000). كتاب الأصنام. (تحقيق: زكي، أحمد). (ط4). دار الكتب المصرية.

النجرمي، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله. (1343). أيمان العرب في الجاهلية. تصحيح: الخطيب، محب الدين. المطبعة السلفية.

نصّار، حسين. (2001). القسم في القرآن الكريم. (ط1). مكتبة الثقافة الدينية.

هارون، عبد السلام محمد. (1421). الأساليب الإنشائية في النحو العربي. (ط1). مكتبة الخانجي.

جامعة حائل
University of Ha'il

Journal of Human Sciences
At Hail University

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

Seventh year, Issue 24
Volume 2, December 2024

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658